التربية والتعليم دراسة تطبيقية في ضوء الجملة الثقافية

(خطاب الإمام علي عليه السلام اختياراً)

المدرس المساعد
فاطمة رفعت اسوادي
مديرية تربية محافظة بابل ـ قسم النشاط المدني
rfat-asd@yahoo.com

Applied study in light of the cultural sentence

The Speech of Imam Ali (peace be upon him) as an option

Assistant Lecturer
Fatima Rif'at Swadi
The General Directorate of Education / Babylon - Department of Civil activities

الملخص:-

يعد الخطاب عند الإمام عليه السلام قانونا أراد به توجيه الرعية إلى سبل الخير والكمال وقد اكتنز خطابه بكثرة المضمرات ودلالة الأنساق التي كان يُعَبر بها عن فلسفته بالحياة وإيمانه بالله سبحانه وتعالى، فقد كان في خطابه حاضر الآية القرآنية والحديث النبوي الشريف والحكمة والمثل يحاكي بها شرائح المجتمع كافة، لما يمتلكه من ملكة ثقافية نسقية أزلية ورثها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لقد تحاكا عليه السلام مع القران لما كان له من فصاحة وبلاغة وحسن بيان حتى إذا استشهد ركن القران وبدأ التأويل والتفسير من بعده، فقد كان ترجمان القرآن وما بين دفتيه من معاني أرادها الله سبحانه وتعالى، فنجد أن المؤلف المزدوج بشقيه الفردي والرمزي جليا في خطاباته إذ كان يخاطب الجماهير مباشرة بكلام بليغ يحمل بين طياته عدة أوجه، ولاسيما الجملة الثقافية في الخطاب فتارةً تأتي جملة قصيرة مؤلفة من كلمة واحدة، وتارةً تأتي عدة كلمات، معبرة عن نفعيتها ووصفيتها وتاريخها وبما تحمله من أنساق ثقافية متخفية عبر الزمن بين طياتها مارست هيمنتها على المتلقي وثقافة عصره.

الكلمات المفتاحية: الامام علي عليه السلام، تربية، تعليم، النقد الثقافي، الجملة الثقافية، الإسلام، الايمان.

Abstract:-

The speech of Imam Ali (peace be upon him) is considered a law with which, he wanted to guide the subjects to the path of goodness and perfection. His speech was full of the abundance of implications and the meaning of coordination through which he expressed his philosophy of life and his faith in God Almighty. In his speech, he was present in the Qur'an verse and the honorable Prophetic hadith, wisdom and ideals with which he emulated all segments of society, as possessing an eternal, cultural and coordinated talent that he studied from the Holy Quran and the honorable Prophetic hadith. He was simulated with the Holy Qur'an for his Eloquence , Rhetoric and good statement. When the Pillar of Islam, was martyred and interpretation and explanation starts after him, as he was the interpreter of the Holy Qur'an and what between its covers of meanings that God Almighty wanted .

Keywords: Imam Ali (peace be upon him), education, cultural criticism, cultural sentence, Islam, faith.

توطئة:ـ

مما لا ريب فيه ولا شبهة أن حياة الإمام علي عليه السلام وقيادته كانت سيره روحية فكرية انبثقت من رحم الإسلام الحنيف، تحمل في ثناياها النقاء والصفاء، ونبذ كل مظاهر الترف والبذخ والإسراف.

فكان الإمام عليه السلام أقدم من وجد حلاوة الإيمان وأوائل الداخلين في ملكوت السماوات، إذْ انه عَرَف الله عز وجل حق معرفته فمجّده وابتهل إليه واتكل عليه.

فقد كان في قيادته للمسلمين، السبق الأول في عملية الإرشاد والتوجيه التربوي والفكري، والاجتماعي، والإداري، حتى وصول رسالة الإسلام إلى أقصى بقاع العالم.

من هذا المنطلق كان الإمام علي عليه السلام المرتكز القوي والمتين والثابت على الأرض لبناء وإعداد المسلم، إعداداً نفسياً إيمانياً علمياً سليماً على وفق مناهج مدروسة واعدة بحياة إسلامية في ضمن أفكار المستقبل التي رسمت في الصورة الحقيقية التي أرادها الله سبحانه وتعالى.

فمن سمات فكر الإمام عليه السلام الحق أنه فكر أخلاقي، يدعو إلى ارتقاء العقل الإنساني إلى مراتب العلم والتعلم والخير والكمال، وأروع الصور في السلوك والمعاملات، كما يحفل بارتقاء الأمة حتى من غير المسلمين إلى الأخلاق الإسلامية.

لذا كانت الخطب والمواعظ التي يبثها للناس، هي النبراس المنير للسير في طريق الفضيلة والإيمان وحسن السلوك، وتُعدً من المواثيق العامة للستراتيجيات الإسلامية التي بني الدين عليها.

يُعَّد الخطاب عند الإمام عليه السلام قانوناً أراد به توجيه الرعية إلى سبل الخير والكمال، وقد اكتنزَ خطابه بكثرة المضمرات ودلالة الأنساق التي كان يعبر بها عن فلسفته بالحياة وإيمانه بالله سبحانه وتعالى، فقد كانت - في خطابه - الآية القرآنية حاضرة فضلاً عن الحديث النبوي الشريف والحكمة والمثل التي يحاكي بها شرائح المجتمع كافة، لما يمتلكه من ملكة ثقافية نسقية أزلية ورثها من منهج القرآن الكريم وتدبر آياته.

لَقَد تحاكى ﷺ مع القرآن لما كان له من فصاحة وبلاغة وحسن بيان حتى إذا استشهد رُكِنَ القرآن وبدأ التأويل والتفسير من بعده، فقد كان ترجمان القرآن وما بين دفتيه من معانٍ أرادها الله سبحانه وتعالى، فنجد أن المؤلف المزدوج بشقيه الفردي والرمزي جلياً في خطاباته إذ كان يخاطب الجماهير مباشرةً بكلام بليغ يحمل بين طياته عدة أوجه، ولاسيما الجملة الثقافية في الخطاب فتارةً تأتي جملة قصيرة مؤلفة من كلمة واحدة؛ وتارةً تأتي عدة كلمات؛ معبرة عن نفعيتها ووصفيتها وتاريخيتها وبما تحمله من انساق ثقافية متخفية عبر الزمن بين طياتها إذ مارست هيمنتها على المتلقي وثقافة عصره.

تعريف الجملة الثقافية:

ينظر علماء النحو إلى ترتيب عناصر الجملة وتراكيبها، ولعل ما يصفه النحويون في الجملة الكلامية بأنها فضلةٌ يقصدون بها عطاءً فكرياً زائداً على أصغر دوائر الجملة الكلامية المفيدة، أما الأديب البليغ فلا يكتفي بالتقيد بما يجوز في التراكيب العربية، فيستخدمها كيفما اتفق، بل ينظر إلى دلالاتها، والى المعاني التي تؤديها التراتيب على اختلافاتها، فيستعمل منها ما يدل على ما يريد التعبير عنه في كلامه بأخصر عبارة، ويحاول دوماً أن يطبق بين اختياره منها وما يريد التعبير عنه[١].

إن مفهوم الجملة الثقافية حينما التصق بالثقافة غيّر المفهوم كلّيا، ومن ثم نجد الجملة الثقافية ليست مجرد عدد كمي من مفردات متعددة وإنما هي بالمعنى الأنثربولجي، أي الهيمنة والسيطرة وسبل تحقيقها كما عند (**غيرتز**) وليس مجموع العلاقات والتقاليد والأعراف[٢]، بل تحمل في أثنائها الدلالة النسقية، هذه الجملة المليئة بالمضمرات الموجهة للأفكار والسلوك والقيم، والناقضة لظاهر القول تأولا ونسخا، ولها دلالة اكتنازية وتعبير مكثف ذو رصيد ثقافي متجذر تلعب فيه الأنا والهوية بمعانيها الفلسفية الواسعة دورا تفاعليا مهماً[٣]، أي بما تحمله هذه الجملة من لا وعي جمعي يكثف حمولات ثقافية تتعدى الأنا المفردة إلى الضمير الجمعي أو النحن[٤]، وتجدر الإشارة إلى أن دلالة الجملة النحوية في القراءة المباشرة دلالة صريحة، أما الجملة الأدبية فهي قراءة جمالية بلاغية أي دلالة ضمنية، وتكون الجملة الثقافية قراءة مركبة فلسفية ثقافية استنباطية أي الدلالة النسقية[٥].

والجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين النحوية والأدبية، بحيث نميز تمييزا

جوهريا بين هذه الأنواع.

إن الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكيل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة، وستكون أنواع الجمل ثلاثا كالآتي:

- الجملة النحوية، المرتبطة بالدلالة الصريحة.
- الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة.
- الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة[٦].

وبهذا سنجد الجملة الثقافية ((نوعا ثالثا مختلفا، هي حصيلة الناتج الدلالي للمعنى النسقي وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة، ثم عبر تطور مقولة الدلالة النسقية وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية، والجملة الثقافية ليست عدداً كمياً إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية أي أن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف))[٧] تقوم بمهمة الكشف عن المضمرات النسقية، وكذلك التعبير عنها، وقد تطول لتصبح مقطعاً شعرياً، وقد تقصر لتكون شبه جملة، إذاً هي أصغر خطاب في نسيج النص وتكشف عن سر النص وسر جماهيريته[٨]، فهي تفضح المضمر الخفي المرتكز في ذاكرة المبدعين والقراء ونفوسهم عبر العصور والأزمان، وعلى هذا فإن الجملة الثقافية تمتلك دلالة مضمرة لا صريحة ولا ضمنية، هذه الدلالة المضمرة ظلت متوارية عن أنظار النقد الأدبي، لما تمتلكه من قدرة كبيرة على التخفي، ولتركيز النقد الأدبي على الجملة الأدبية (الجمالية)[٩].

ولّما كان مفهوم الجملة الثقافية مفهوماً مركزياً في النقد الثقافي، فسيكون (الجامع الأموي) مثالاً في هذه الحال (جملة ثقافية) وليس نصاً؛ لأنه علامة ثقافية تحمل وتكشف عن إشكال ثقافي ولا تقف على نفسها وتنغلق على ذاتها، وبالتالي فهو كاشف نسقي، قادر على ذلك إذا وظفنا المقولة النقدية كما يقترحها مشروع النقد الثقافي[١٠]، وأول علامات هذه الجملة أننا نقف فيها على دلالة المسمى بنسبة المكان إلى الحقبة الأموية، وهي حقبة تمثل قيمة ثقافية عربية وإسلامية، وتدل على خطاب يحمل ذاكرة، ويمثل حالة تحول جذري في تكوين

مفهوم الأمة، فهو مسجد ينسب إلى عشيرة وهذه العشيرة تحتل موقعاً جدلياً في نفوس المسلمين بين سنة وشيعة وبين عهد راشد وملك عضوض، وبين ثقافية قبيلة من جهة، وثقافية وحي من جهة ثانية(١١).

وهذا يدخل مباشرة مع التسمية ليكشف عن حركة في الذاكرة تسأل ما الذي جعل التاريخ لا يحتفظ عن العهد الأموي بأي أثر سوى هذا الجامع، وأين القصور والدور...؟ لم يبق في المكان الذهني والرمزي سوى الجامع، بقي مكاناً ومسمىً، في حين زال الباقي.

إن الذاكرة وهي تحتفظ بالموقع فإنها هنا تمنح المكان خصوصية الخلود، وتنفي الخلود عن غيره من معالم تلك الذاكرة، ثم هي تكنز من داخله برمزيات تجتمع عليها، فالقبر الذي في الداخل هو مثلاً: قبر لنبي، أو لشخصية علمية كبيرة، وليس لخليفة أموي، ومع أن بانيه أموي واسمه اسم أموي إلا أن رمزيته ليست أموية، هنا يأتي معنى من معاني الجملة الثقافية حينما تحمل نسقاً مضمراً، والنسق المضمر هو الدلالة الخفية بما تحمله من تناقض بين المعنى الواعي والدلالة المضمرة الناقضة لذلك المعنى(١٢).

ولما كنا نتكلم عن نقد ثقافي وعن نسق مضمر وعن دلالة التناقض بين المعنى الواعي والمضمر النسقي من تحته فإن السؤال لن يكون هنا عما هو موجود في النص (أو الجملة الثقافية)، وإنما سيكون عن ما هو غير موجود، وهو أموية المكان على الرغم من أموية الاسم، والمفقود هنا في التعارض بين المسمى الأموي وعدم أموية المكان، مما يعني أنه مضمر ثقافي ينقض مسماه، وينسخ المعلن عنه(١٣).

وليس في الجامع الأموي من الأموية غير اسمه، حتى الوظائف التي سنبحث عنها هنا سواء منها التداولي (النحوي) أو الجمالي (البلاغي) فإنها لن تكون أموية بقدر ما ستكون بشرية إنسانية (شعبية)، هنا سنرى أن النص أو الجملة الثقافية، أي الجامع الأموي، هو نسق مضاد للسلطة وللتاريخ، ولذا صار شعبياً من جهة، وذا رمزية غير تاريخية من جهة ثانية، وكل ما في الجامع هو رمزيات لا تاريخية أو لا واقعية، وسيجد المرء صعوبة أو استحالة في تقرير الواقع التاريخي للمكان ولمفردات المكان، بدءاً من تاريخ جدرانه وأصولها وحقيقة القبر، وحقائق المسميات داخل الجامع، وقصص المكان وحكاياته(١٤).

يرى الباحث أن هناك إيحاء من الحق ببقاء هذه التسمية طول الزمان لما اقترفه بنو أمية من ظلم وجور تجاه المسلمين؛ ونصب منبر السب والشتم للإمام علي عليه السلام في هذا الجامع؛ إذاً فبقاء التسمية إنما هو عبرة وتذكير للأجيال بهذه الفئة الضالة عن طريق الإسلام.

التربية والتعليم في خطب الإمام عليه السلام:

يُعدّ نظام التربية الثقافية والتربوية والتعليم من أولويات ولاية الإمام علي عليه السلام، فقد قدمه على التنمية الاقتصادية، بوصف التنمية الاقتصادية غير ممكنة دون التنمية الثقافية؛ لان حاجة المسلمين إلى التربية والتعليم، أكثر من حاجة البدن إلى الطعام والشراب في فلسفة الإمام عليه السلام.

إن فلسفة الوحي وفلسفة الولاية في منهج أهل البيت عليهم السلام، تتعدى وتزيد على تربية الإنسان وتعليمه، وان جميع الجهود ما هي إلا مقدمة لبناء الإنسان المؤمن الكامل، فكان الأنبياء والأوصياء، يتولوّن شخصياً تعليم الناس، ووفق هذا المنهج سار الإمام عليه السلام وجسد سياسة الثقافة العامة للمجتمع ودعا لها، مع ترسيخ السنن الاجتماعية، وكان يرفض الأعراف والتقاليد الخاطئة، في المجتمع الإسلامي(١٥).

إن الإمام عليه السلام كافح بلسانه وجاهد بسيفه في سبيل إعطاء المجتمع حق التعلم والتعليم وكان عليه السلام يَعدّ العِلّم سلاح الفرد وقيمته وأثره ومركزه في المجتمع، وذلك بصفته فرداً من أفراده ولبنةً في بنائه، وبالعلم تقاس حياة المجتمع وحالته رُقياً أو تخلفاً، ازدهاراً أو خمولا(١٦).

ولا نكاد نرى أمة أو مجتمعاً أو نظاماً، فتح أبواب العلوم والثقافة كما فتحها الإسلام، أو ندب إليها وكم رفع من شأن العلماء، فنرى القرآن الكريم قد أشار إلى أكثر من ألف وخمسمائة آية، تتحدث عن (العلم) و(العقل) و(التذكر) و(التدبر)، التي يجمعها معنى الثقافة والتعليم، وهذه خلفية واسعة تعكس عناية الإسلام بالثقافة والفكر والتربية والتعليم، التي وضعها الإمام عليه السلام في ضمن أولوياته(١٧).

انطلقت مسؤولية الإمام علي عليه السلام بالعناية بالجانب التربوي والتعليمي كأصل وواجب على ولي الأمر لذا جاء قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ

فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١٨].

وبهذا المعنى جاء قول الإمام عليه السلام: ((**على الإمام أن يعلم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان**))[١٩]، استعمل الإمام عدة جمل ثقافية في هذا النص الخطابي وقد جاء ذلك بما يكتنزه من موروث نسقي ثقافي لذا نجده بدءاً قد اوجب عملية التعليم على الإمام بدلالة قوله: (**على الإمام**) وهذا واجب عيني وفرض الهي جاء صريحاً؛ وكلمة (**الإمام**) بذاتها جملة ثقافية وإن كانت قصيرة بها منفعة أن الإمام يوجه الأمة ويرتقي بها ويراعي مصالحها ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ ووصفها يكون أن الإمام جاء بتخويل وسلطة إلهية ومنزلة عالية تميزه وترفعُه عن الشبهات بتصريح الهي؛ بأن الإمام هو خليفة الله في الأرض بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢٠]، وتاريخ الإمام قد ذكرته الأديان كلها وعرج عليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٢١] ولا توجد هناك أمة ليس لها إمام.

وصرح الإمام بلسان عربي مبين (**أن يُعَلّم أهل ولايته**) وهنا أراد بكلمة أن التوكيد وقد عَدّاها على الفعل المضارع يُعَلّم لإلزام الإمام وجعل كلامه بمثابة واجب وأمر؛ وعززها بكلمة (**حدود**) إذ أراد الإطلاق العام على المسلمين كافة وحدود دولتهم التي شملت كافة أنحاء العالم على وفق المنظور الإسلامي؛ وليس المقصود تعاليم الإسلام فحسب بل أينما كانوا.

لقد أفاد الإمام عليه السلام حين واشج بين (**الإسلام والإيمان**) أن يُحيلَ على ذاكرة الموروث الثقافي الإسلامي المتوغل في ضمن المجتمع فجعل الإسلام صنو الإيمان بمستوى واحد لا فَرْقَ بينهما في اتساع المعنى وما أراده سبحانه وتعالى من حسن الصورة للمسلم؛ وكلاهما جملة ثقافية مستقلة لها فوائدها ووصفها وتاريخها؛ فمنفعة الإسلام هو دين علم وهداية وتسامح ومحبة وإخاء ومعاملة حسنة بين الناس وجهاد وأمر بمعروف؛ وأراد عليه السلام في وصفه للإسلام أن يجسد قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢٢]؛ واتسم بالحق والعدل والمساواة واحترام المرأة وعطف الكبير على الصغير

واحترام الصغير للكبير؛ والتكافل الاجتماعي بين المسلمين؛ وتاريخية الإسلام أزلي قديم كان ومازال ويبقى قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[٢٣] وأن كل الشرائع السماوية التي جاءت بها الأديان على لسان الأنبياء والأوصياء هي اللبنة الأولى للدين الإسلامي.

ونلاحظ أنه عليه السلام قد دمج الإسلام والإيمان وأنهما لا يفترقان عن بعضهما، فنفعية ووصفية الإيمان لا تقل عن الإسلام؛ ولكنه أراد بدمجهما أن يعرف الإيمان بأنه إيمان الفكر والعقيدة التي استقاها من مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثقافة التي أكتسبها من محاكاته لكلام الله سبحانه وتعالى فهنا أراد للفكر الحر والحي أن يسير وفق الاعتقاد المحمدي الذي نزل به من الله الوحي الأمين

بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢٤] وبيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له لولاية المؤمنين في غدير خم التي ختمت بأعناق المسلمين؛ فالإمام عليه السلام بخطابه أراد الإيمان الصادق المطلق الذي صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم معركة الخندق **((برز الإيمان كله للكفر كله))**[٢٥] فكناه بالإيمان كله؛ إذاً المقصود في الإيمان أصبح جلياً بما أراده الإمام يوم تقاعس الكل عن القتال وذهب يثبت أركان الإسلام بالإيمان والحق ودعاء الرسول له.

لقد واءم الإمام عليه السلام بين **(الإمام، والعلم، والإيمان)** مستعملاً الدلالات النسقية الظاهرة والمباشرة للجماهير، فالإمام هو هو بدلالة بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في **(غدير خم)**، وأما قصدية العلم فعائدة له أيضا متجلية بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **((أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها))**[٢٦]، وخطابه عليه السلام: **((يا معشر الناس اسألوني قبل أن تفقدوني))**[٢٧]، أما الإيمان فمنطبق عليه عليه السلام أيضا بدلالة الحديث الشريف: **((برز الإيمان كله للكفر كله))** إذاً اوجب على نفسه تعليم الأمة والارتقاء بها إلى المستوى الفكري والعقائدي الذي يضمن حياة حرة كريمة إيمانية في ظلال ورحاب الإسلام، بما يتناسب وتقواه في يوم الخندق إذ لم يرتقِ إلى الإيمان غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصبره وقيادته؛ والإمام علي عليه السلام بإيمانه وبشجاعته وقتاله فلا يوجد غيرهما بدلالة طلب الرسول من الحضور ثلاث مرات مقاتلة (الكافر عمرو بن عبد ود) بضمان الجنة لمن يستشهد فلم يرد عليه احد من الحضور[٢٨] وهم بحضرة رسول الله إلا الإمام عليه السلام، فلو لم يبرز الإمام للقتال وقتله (عمرو) لما كان هناك رسالة أو إسلام.

فمنطلق التعليم الذي أراده الإمام عليه السلام وفق المنهج الرسالي وضرورة تعليم الرعية حدود الإسلام وتعاليمه، وترسيخ الإيمان في قلوبهم، نراه واضحاً تمام الوضوح حين يقول عليه السلام: ((**وبالإيمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت**))[٢٩]، لقد كان الإيمان محط اعتناء الإمام عليه السلام لما له من دلالات نسقية ثقافية اندرجت في ذاكرة المجتمع؛ والمحافظة من خلاله على الهوية الإسلامية، فأكد بالباء عليه (**وبالإيمان**) وأعطاه وظيفة عملية هي (**يعمر**) أي أصبح مصدر الهام له نتاج فكري عقائدي؛ وديمومة تنمي العقل ليرتقي وتتسع مداركه وسعة افقه والاستمرارية من خلال الفعل المضارع (**يعمر**)؛ وأكد (**العلم وبالعلم**) كرر ذلك لزيادة التذكير والأهمية غير المتناهية في فوائده، والعلم جملة ثقافية لها منافعها مثل: غذاء العقول، واتساع المعرفة، ووصفه: حامل العلم ينطق الحكمة، ويعرف حدود الله، ويتسم بالصبر وحسن القول ونفاذ البصيرة ويكتسب احترام الناس، وقد جاء التاريخ لنا بكثير من الشواهد على أزليته فذكرته الصحف القديمة والتوراة والإنجيل، وكان له خطوة كبيرة في القرآن الكريم إذ قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٠]، وقال أيضاً: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣١]، وجاء في الحديث الشريف: ((**أطلب العلم من المهد إلى اللحد**))[٣٢]، وفي حديث آخر: ((**أن العلم نور والجهل ظلمة**))[٣٣]، أراد الإمام عليه السلام أن يرسخ في ذاكرتنا فضل العلم بدلالة: الإنسان يعشق العلم بفطرته، لأن بالعقل يكون الإنسان إنسانا، وثمرة العقل هو العلم، ولهذا إذا قلت للجاهل: يا جاهل، يحزن، مع أنه يعلم بكونه جاهلا، في حين إذا نسبته إلى العلم يفرح، وهو يعلم أنه ليس بعالم، ولما كان الإسلام دين الفطرة، فقد جعل نسبة العلم إلى الجهل نسبة النور إلى الظلمة، ونسبة الحياة إلى الموت، لذا جاء حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)[٣٤].

لم يكتف الإمام عليه السلام بوصف ما للعلم من هيبة وسلطان معنوي؛ بل زاد على ذلك ومنحه القوة والسلطة والرهبة بقوله: (**يرهب الموت**) وهذه مفارقه وصفة يعجب لها الإنسان فالموت هو هادم اللذات فكيف به أن يقهر؟ إن ما أراده عليه السلام توضيح ما يؤمن به العالم فالعالم الحق يؤمن بالموت ويراه مصيراً محتوماً بدلالة قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...﴾[٣٥]؛ فيعمل بدنياه كل خير في سبيل إرهاب الموت؛ ثم أن العالم لا يموت فأثره باقٍ على الدوام.

لقد ذكر لنا عليه السلام في نهاية خطابه (**الموت**) والموت جملة ثقافية ذات بعد نسقي متعارف عليه عند الناس؛ وقد استكنه بمفهومه الكثير من لا يدرك معناه، فمنهم من يراه شراً ومنهم يعبر عنه بهادم اللذات ومنهم من يرى به رأيا، لكن فلسفة الإمام عليه السلام تختلف عن باقي الرؤى؛ فالموت عنده هو الحق بإيمان مطلق، وهو نهاية الطريق إلى حياة أزلية مبنية على الإيمان، والتذكير بالموت يحث الإنسان المؤمن على عمل الخير والتمسك بحبل الله، والموت يذل الجبابرة والعتاة؛ لذا كان عليه السلام دائم التذكير والاستشهاد به وكان يراه السبيل إلى لقاء الله سبحانه وتعالى ورؤية حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان مؤمناً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٦]، ويفتخر عندما يذكر الموت ويردد: (**فو الله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت على**)[٣٧]، وقال قبل استشهاده:

اشـــــدد حيازيمـــــك للمـــــوت ... فـــــإن المـــــوت لاقيكـــــا

ولا تجـــــزع مـــــن المـــــوت ... إذا حـــــل بواديكـــــا[٣٨]

فهنا تجلت فلسفة الموت عند الإمام عليه السلام حين عدّه السعادة الأبدية ونهاية الشقاء والعذاب والابتعاد عن أهل الشقاق والنفاق والدجل؛ ولقاء الأحبة والمؤمنين، وأما عظته عليه السلام في وصف الموت من خلال الجملة الثقافية فترتكز على شقين:

١- شق دنيوي الذي يتمثل بمفارقة الشخص الحياة ويكون جثة هامدة لا حول له ولا قوة، وذهاب ألقابه وتسميته، وابتعاد الناس والأحبة عنه، والخوف والفزع منه، فضلاً عن بقائه مدة طويلة فتصدر منه الروائح الكريهة والمذمومة، لذا يبادر الناس توريته في التراب للتخلص منه .

٢- شق في القبر وعالم البرزخ يرهن فيه بحسب عمله وهو كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣٩]، يُعَدّ الموت نسقاً تاريخياً ثقافياً حكم كل الناس واستولى على فلسفة الأديان كلها بما في ذلك الإثنوية؛ فكلٌ له رؤية خاصة وتفسير مغاير عن الآخر، فبعده التاريخي أزلي ذكره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٤٠] وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا

﴿يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٤١] وغيرها من الآيات البينات.

لقد كان عليه السلام نبعاً للحكمة والموعظة وإن كل كلمة أو حرف كان ينطق به هو بمثابة معجم من المعلومات أو جملة ثقافية تحتوي على انساق ثقافية وموروث تاريخي يرشد الناس ويحاكيهم كلٌ بمفهومه وتفقهه.

أكد عليه السلام كفالة النظام الإسلامي لحق التعليم وجعله من المقررات الأساسية في منهج ولايته، وهو نوع من أنواع الحقوق المتقابلة واجبة الالتزام بها من قبل ولي الأمر تجاه رعيته، يقول عليه السلام: ((**أيها الناس، أن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق، فأما حقكم علي فالنصيحة في ذات الله، وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا**))[٤٢]، لقد استهل خطابه عليه السلام بمناداة الآخر محفزاً الذات الإنسانية بواسطة ياء النداء البعيد؛ مستعملاً ضمير الغائب، موجباً على نفسه تكليفاً الهياً وفرضاً إسلاميا، فقوله: (**عليكم، ولكم، وحقكم، وفيئكم، وتعليمكم، وتأديبكم**) هي إيضاحات لما للمسلم من حق في ظلال الدولة الإسلامية؛ فتنبيهه لهم هو واجب شرعي حتى لا تُبخس حقوقهم من أي والٍ عضوض، فقد استعمل حرف الكاف وهو حرف ذو إيقاع عال يفيد بتكراره التذكير والحفظ، وأما الأفعال المضارعة التي استعملها مثل: (**توفير، تعليمكم، تجهلوا، تأديبكم، تعلموا**) فقد جاءت لاستمرار حقوقهم وواجبات ولي الأمر تجاههم؛ وقد جاء الفعل الماضِي (**نصيحة**) لتجديد الحقوق.

(**الناس**) جملة ثقافية جلية في خطابه عليه السلام وهي جمع إنسان وينماز الإنسان بمنافع كثيرة أهمها عمارة الأرض والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالولاية؛ ومن وصفه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤٣]، أي على صورة حسنة ودماثة خلق وعقل راجح يميز بين الخير والشر وأعطاه سبحانه وتعالى البصر والبصيرة وسعة الأفق وأعطاه جهاز نطق لا يمتلكه أي مخلوق غيره وبواسطته يحاكي بني جنسه؛ وأعطاه الموهبة لتعلم الأشياء والإبداع في العلم؛ وكان مهيأ من قبل الله سبحانه لتقبل كل العلوم وجاء ذلك في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٤٤]، والمراد في الأسماء العلوم كافة؛ والإنسان نسق تاريخي قديم في الذاكرة وأول من سكن الأرض وتناسل عليها، وجاء ذكره في كل تواريخ الشعوب؛ والكتب السماوية بما في ذلك القرآن الكريم.

واللافت للنظر أنه لماذا نادى عليه السلام الناس ولم ينادِ المسلمين ؟ لقد كان يعرف الله سبحانه وتعالى والإنسان من صنع الله وصنع الله مقدس؛ ولم يميزهم جل جلاله إلا بالتقوى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤٥] فضلاً عن مبدأ العدالة والمساواة الذي اكتسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ((**الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالتقوى**))[٤٦]، وقال هو عليه السلام في الناس: ((**إِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ - وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**))[٤٧]، **- لعمري**- كان سهم الإسلام ومشكاة الحق وأمل الإنسانية؛ التي ذهبت أدراج الرياح عند استشهاده عليه السلام وبات الحق والإنسانية كوردة خاوية اقتلعت من جذورها ومص رحيقها؛ وأصبحا يتخبطان تحت كثير من المسميات وتتلاعب بهما الأقدار كما تتلاعب الرياح بأوراق الخريف الذابلة.

لقد أصبح جلياً لنا سبب مناداته لكل لناس بدلالة قوله عليه السلام: (**أن لي عليكم حقاً**) وهذا الحق تخويل له من الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٤٨]، وبيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم؛ فضلاً عن بيعة الخليفة الأول والثاني (رض) بقولهما: ((**هنيئا لك يا ابن أبي طالب ! أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة**))[٤٩]، وهنا اكتسب الإمام عليه السلام شرعيته المطلقة بإجماع الصحابة الذين حضروا غدير خم؛ فكان ندائه ((**أيها الناس، أن لي عليكم حقاً**)) فالناس كافة هم رعيته وحقه عليهم هو ولاية الأمر وإمام الناس وهو أولى بهم من أنفسهم؛ لذا نادى بافتراض الطاعة له وهو حق شرعي وتنصيب الهي كان في ذاكرة المنادى وهو نسق ثقافي تعارف عليه الناس آنذاك؛ والناس الذين خاطبهم يعرفون حقه وهم من الصحابة والتابعين، فقوله: ((**أن لي عليكم حقاً**)) جملة ثقافية اكتنزت في ثناياها كثيراً من المضمرات والدلالات التي حاول عليه السلام إيصالها للمتلقي والمتربصين والمارقين والمتلاعبين في حق الإمام وشرعنة ما هو ليس لهم بدعوى الدين.

إنماز عليه السلام في تكثيف المعنى فكانت دلالات الأنساق والجمل الثقافية كثيرة في خطبه وذلك لإيصال المفهوم مباشرة من دون إسهاب أو إطناب وتململ المستمعين؛ فكان سريع الخاطرة حاضر الإجابة سهل الأسلوب ذا كلام يفهمه الفقيه والجاهل؛ لما فيه من موروث

ثقافي حاضر في الذاكرة لقد نادى الناس بـ(**النصيحة في ذات الله**) ولم يقل ذاتكم ويميز بينهم وذلك لإبعادهم عن مفهوم الأنا والآخر ومساواتهم بقوله: ذات الله، فذات الله هي المروءة وصوت الله الحي في ضمير الإنسان؛ ويبدو أن الإمام عليه السلام قد شق عليه تصرفاتهم وغيهم وفقدهم المروءة والضمير واستمرارهم في شق عصا الطاعة واستغلالهم لمروءته؛ فأراد أن يُوقظ ما فقدوه فأوجب على نفسه أن يكون منبراً حراً للدفاع عن حقوقهم وتذكيرهم بالمروءة التي فقدوها، ولاسيما قوله: (**وتوفير فيئكم عليكم**) لقد واشج بين الذات والموضوع فَعدّ النصح وتوفير حقوقهم من واجباته المحضة.

لقد ركز عليه السلام على جانب التعليم فكان قوله: (**وتعليمكم كي لا تجهلوا**) بمثابة توعية وتنبيه لما فاتهم من استغلال ومصادرة حقوق تعرضوا لها وهم في غفلة من أمرهم؛ فحقوق الناس كثيرة على ولي الأمر منها: العدالة والمساواة والأمن وحرية التعبير وحق التعليم والشورى والاشتراك في الحكم ومراقبة أداء العاملين في الحكومة والتكافل الاجتماعي وضمان عدم الإساءة إليهم وغيرها، وقوله: (**لا تجهلوا**) جاءت ربما لملاحظة الإمام عليه السلام أن هذه الحقوق قد انتُهكت وبخست - فهناك من سُلط على رقاب الناس بغير حق ومنهم استثرى وربما كان الإسلام قد هدر دمه- من قبل بعض الولاة الجهلة قبل استلامه زمام أمور الناس لذا نسوها أو لم يتمتعوا بها قط فجهلوها؛ وربما أراد أن ينبههم على عدم الجهل بها من بعده؛ وفي رأي الإمام عليه السلام ومن خلال الاستقراء إن الإنسان الذي يتعلم هذه الحقوق قد يصبح عالماً وحكيماً ويكون مثالاً نافعاً في تطبيق الواجبات فلا خوف عليه بعد ذلك.

صرح عليه السلام بقوله: (**وتأديبكم كيما تعلموا**) والتأديب بمعنى الصقل وهو مرحلة أعلى من التعليم، إذ يذهب الطالب إلى مؤدب ذي عفة في خلائقه، واستقامة في طرائفه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وأن قلد مهمات نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، تكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناء الحكماء وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلى بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه[٥٠]؛ وهذا ينطبق عليه عليه السلام فهو مؤدِّب الناس بحكمته وموعظته وأخلاقه؛ وآل على نفسه هذا التكليف الشرعي بحكم ولايته، أما قوله: (**كيما تعلموا**) فقد واشج بين العلوم الدينية والدنيوية، وجعلها واجباً وتكليفاً شرعياً يرافق الإنسان من المهد إلى اللحد.

جعل عليه السلام منازل متباينة بين العلم والجهل يحاجج بها وماز بينهما بقوله: ((**كفى بالعلم شرفاً، إن يدعيه ما لا يحسنه، وكفى بالجهل ذماً إن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه**))[٥١].

أراد الإمام عليه السلام أن يؤكد ويذكر بتكراره (**كفى**) أن الجهل؛ تتجلى صور ذمه عندما يتبرأ منه من هو حامل لصفته؛ وأرى أن ذم الجهل للجاهل يدخله في مرحلة جديدة من المعرفة هي القول بـ لا أدري كما يراها الإمام عليه السلام؛ وهذا الجهل له مظاهر منها الجهل بالعقيدة؛ والجهل بالإيمان؛ ولا يعدّ منها ما كان من القيافة والعيافة وَقَدّم الإمام عليه السلام الكلام على ادعاء الجاهل للعلم للبحث عن شرفيته؛ ومن ثم تحدث عن الجهل الذي ذمّه بصفاته المعروفة.

والجهل جملة ثقافية لها بعدها الثقافي تكون مكتنزة في أذهان الناس؛ للتعبير عن إدراك مفهوم الإيمان من وجهة نظر الإمام عليه السلام؛ لأن هذا المفهوم اتخذ بعداً اجتماعياً وإسلامياً؛ بل انه صار من صميم العقيدة؛ لذلك يُعَدّ الجهل في بعض صفاته خالي المنفعة للمؤمن وللمسلم العاقلين؛ وللذين يسيرون في ركب البحث عن المعرفة العقائدية؛ ومن هنا تتضح وصفيته أنه ضار بالمجتمع لأن من يتصف به تؤدي تصرفاته الحمقاء وغير المنضبطة إلى خلل اجتماعي وعقائدي.

وربما كانت (**كفى**) مقيدة لهذا المفهوم في وصفيته المذمومة كي يتبرأ منه من كان سائراً في طريق الضلالة مثلما كان العلم كانت مقيدة لمفهوم شرفيته أن يدعيه من لا يحسنه؛ وخير دليل على ذلك قول الإمام عليه السلام: ((قيمة كل إنسان ما يحسن))[٥٢] أي ما يتقنه من عمل له صفات صالحة تؤدي فائدة اجتماعية في مظهرها العام؛ وفائدة عقائدية في مظهرها الخاص.

أما تاريخية (الجهل) فهي نسق ثقافي قديم قدم الإنسان قد حاربته الأديان والمذاهب والأفكار الصالحة وجاء ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٥٣] ولبيان أوضح صورة للجهل ذمها الله سبحانه وتعالى؛ لارتباطها بأهواء الإنسان وطمعه بالدنيا قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٥٤] وما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذم الجهل: ((لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعود من العقل))[٥٥] وكثر ذم

الجهل عند الإمام عليه السلام في خطبه بوصفه حالة سلبية تذهب بمن يرتكبه إلى الهاوية بقوله: **((سَل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً؛ فان الجاهل المستعلم شبيه بالعالم المتعنت، وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت))**[٥٦].

وما جاء على لسان الإمام عليه السلام يتمثل بذم الجهل:

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلهِ ... وأجسادُهُمْ قبلَ القبُورِ قُبورُ

وانّ امرأً لم يُحيي بالعلمِ ميتُ ... وليسَ له حتَّى النّشورُ نُشُورُ[٥٧]

لقد أراد عليه السلام من ذم الجهل أن يقول لنا انه لا خير في الدنيا؛ وإن الحياة لا قيمة لها من دون علم والعلم يعزز الإيمان والكرامة عند الإنسان ويرفعه درجات عالية عن الجهالة كما جاء بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٥٨] وبهذه الآية تجلت صورة العالم بقنوته إناء الليل وقيامه وسجوده يخشى قصوره بالعبادة وابتعاده عن رحمة الله؛ فكان واجب الإمام عليه السلام الشرعي يملي عليه محاربة الجهل واوجب على نفسه تعليم الناس الإسلام والإيمان؛ وقد استعمل أسلوبا واضحا وألفاظا يسيرة في وصف الجهل وذمه.

وقال المتنبي في ذم الجهل:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[٥٩]

وما جاء على لسان الشعراء الذين تفاخروا بالجهل مثل قول الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألاَ لاَ يَجْهَلْنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٦٠]

إن التفاخر في الجهل مدعاة لإطلاق الأهواء والمشاعر بجاهلية مقيتة من دون رادع؛ وما أراده الشاعر ليس شرب الخمر ولا القتل بالسيف حسب وإنما أراد فرض السيادة والتحكم برقاب الناس مستغلا ضعفهم وعدم معرفتهم.

ونخلص إلى القول أن الإمام عليه السلام أراد أن يقول إن الإيمان بالعقيدة يظل ناقصاً ما لم يقترن بمعرفة ودراية توصل الإنسان إلى الصراط القويم لتنطبق عليه صفة المؤمن، وإذا استزاد

من العلم ادخله الإمام عليه السلام في صف الموقنين؛ أما المعاندون للعقيدة وللإيمان ولما يبلغ الإسلام حناجرهم ولم يتجاوز الإيمان عقولهم فهم في ركب أهل الضلالة والجهل وهي دعوة من الإمام عليه السلام لربط العلم بالإيمان لبناء مجتمع إسلامي متعلم واعٍ.

فرق عليه السلام بين العلم والمال، فقدم العلم وأعطاه الأهمية والأولوية بقوله: ((**العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه**))(٦١).

لا يختلف اثنان على أن العلم هو خير من المال؛ فالعلم راسخ في صورته لا يحتاج إلى بيان فضله؛ من هنا كان المال مفضولا على الرغم من كونه زينة للناس؛ وبسبب هذه الصفة احتاج الإنسان إلى حراسته لأنه معرض للتلف وللسرقة؛ وفي مفاضلته عليه السلام بين العلم الذي يحرس الإنسان والمال الذي يحرسه الإنسان نقف على لغة راقية تسمو فيها بلاغة الإمام عليه السلام؛ إذ اسند العلم إلى الفعل (يحرس) وأضفى على العلم صفةً إنسانية هي الحارس الأمين؛ في مجاز جميل يدل فعله على الاستمرار والإطلاق؛ في حين استعمل واو الحال مع الجملة الاسمية للتعبير عن مظهر اجتماعي للحارس الذي يحرس المال محتاجاً في ذلك إلى أدوات مهمة يوظفها في الحراسة بدءا من السلاح الذي يدافع به عن نفسه وماله؛ فضلا عن استنزاف طاقاته النفسية والعقلية وربما البدنية بسبب السهر.

زاد الإمام عليه السلام على ذلك بوصف العلم بشخص يتحكم بمصائر الناس ويحكم عليهم من دون جدال مستعملا صيغة اسم الفاعل للدلالة على تجدد الحدث واستمراره؛ فالمجاز هنا الإسناد فيه كان خبريا باستعمال الاسم المشتق المتضمن للحدث في زمن الحال والاستقبال؛ ورأى الإمام عليه السلام أن المال محكوم عليه، ولم يزد على ذلك؛ لان التعبير واضح من كلامه لان المال محكوم عليه بالنقصان أو الصرف أو التلف أو الهلاك أو الزيادة، ونلحظ استعمال صيغة اسم المفعول مع معموله شبه الجملة للدلالة على ثبوت هذا الأمر وكأنه صفة أزلية.

والمال جملة ثقافية نسقية حاضرة ومكتنزة في أذهان الناس تدل في مفهومها على وسيلة من وسائل توفير حاجات الناس الأساسية واليومية وهو زينة لأنه يجعل الإنسان في الدنيا مترفاً مرفهاً؛ على انه في الوقت نفسه يعد مدعاة للمشكلات والفتن والصراعات والنفوذ وبه تتغير الحالة الاجتماعية لمجتمع ما أو لشعب ما إذا استغل بالصورة الصحيحة؛ فبهذا يصبح

من وسائل الإصلاح وأما إذا استغل عكس ذلك فهو مدعاة للخراب وبه يتلاعب أصحاب المال بالعقول الساذجة وأهل العقائد الواهية فينتج ذلك تفسخاً فكرياً وعقائدياً ودينياً يصبح من خلالها الإنسان خاوياً من شخصيته الدينية والاجتماعية.

ونفعية المال تتجلى في توجيه الإمام عليه السلام في طلب العلم ومساعدة المحتاجين كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٦٢] وخدمة الدين وبناء المساجد للمسلمين كما أشار تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾[٦٣] وإطفاء غضب الله سبحانه وتعالى من خلال الصدقة والزكاة للمساكين وجاء ذلك بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٦٤] ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[٦٥] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الصدقة تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى))[٦٦]؛ ومن المنافع رفد بيت مال المسلمين والتهيؤ للأعداء وتجهيز المؤونة والسلاح للمقاتلين، ومرضاة الله.

وتاريخ المال هو جزء من شخصية الإنسان في الأرض فقد أشار إليه سبحانه وتعالى في ذمه واكتنازه تارة بذكره إلى رموز قد علت وتجبرت في الأرض بقوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٦٧] وتارة بوصفه زينة الحياة بقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٦٨] وحدد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صرف المال في موارد معينة وان يتوخى الحذر في ذلك بقوله: ((من القي نفسه وماله في التهلكة لن يستغيثه الله))[٦٩].

لقد كان الإمام عليه السلام ينفذ التعاليم السماوية التي استسقاها من المدرسة المحمدية والتي أملت عليه ثقافة الإيمان والشروع بتوجيه الإنسان والرقي به إلى أعلى مراحل التربية الصحيحة والتعليم الحقيقية؛ وقد بين لنا فلسفته من خلال دلالة الأنساق التي عرضها في نصه الذي فاضل فيه بين العلم والمال ورأى أن على الإنسان أن يوظف الوسائل المادية المتمثلة بالمال والمعنوية التي يمثلها فكر الإنسان للوصول إلى مراتب في المعرفة تقود إلى العلم الذي يدلنا على حقيقة الإيمان بالعقيدة ومعرفة الدين والإيمان الحق وإتباع منهجه رسالي في

التربية والتعليم الذي أراده الله من اجل الغاية الأسمى التي هي إتباع الصراط المستقيم والهداية لما هو أقوم.

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف وبعد أن أنهى الباحث هذه الرحلة البحثية الموجزة لبعض نصوص خطب ومواعظ الإمام علي عليه السلام التي تخص التربية والتعليم وفق منظور النقد الثقافي يستعرض ما توصل إليه من نتائج.

- إن وظيفة النقد الثقافي تحمل في طياتها ما لا ينسجم مع طبيعة النقد عموماً، فلا يمكن تلخيص مهمة النقد الثقافي في كونه مقتصراً على المستهلك الثقافي، بل يتعدى هذا بالغوص في أعماق الجذور القديمة لثقافة أي مجتمع، باتجاهاتها كافة ليظهر المكامن الغامضة من خلال الأنساق الثقافية التي ترفد النقد الثقافي بأدوات الكشف الدقيق عن ما هو مضمر وخفي في النص الأدبي، سواء أكان من الآداب الرفيعة أم الشعبية منها، الأمر الذي لا يمثل إضافة ملحوظة إلى جهود الانثروبلوجيين والنقاد السابقة، ولا يكشف عن الخصوصية الموجبة والمميزة للنقد الثقافي في كونه ينهض بمهمة نقد المؤسسة المنتجة للثقافة التي تروض العقل والذوق والسلوك.
- إن الجملة الثقافية تمر في حالة تكثيف الفعل عبر تعليقها بصفات أو أنصاف جمل، موظفاً فيها أحداثاً تاريخية أو اجتماعية ذات بعد ديني ليوصل خطابه الوعظي إلى مجتمعه المتردد الذي تصرف بمفاهيم الإسلام وغبن حق الناس في العيش.
- كان الإمام عليه السلام ثقافة مكشوفة بوصفه علامة على النسق الثقافي وكان جماهيرياً شعبياً واستقر من ذلك الزمن وتأكد منه، لأنه إمام وعالم إذ تمكن من تحويل الخطاب من خطاب يتناغم مع الأنا إلى خطاب يحاكي الإنسانية.
- لم يفلح المؤلف الرمزي في تراكمه الثقافي عند الإمام عليه السلام تماماً لأنه خطيب وبليغ استعمل ألفاظاً مباشرة وإن كانت في سياق الاستعارات والمقابلات المتضادة، في حين نجح في قاعدة المؤلف الفرد لأنه واعظٌ تَسهل الأمر عليه استعماله معان وجمل ثقافية رسخت في الذاكرة العربية.

- دعا الإمام علي عليه السلام إلى سياسة الإصلاح الثقافي، من خلال تنمية التعليم وتعميم ثقافة النقد والانضواء تحت محورية الحق لا الرجال؛ فقد أسس عليه السلام مدارس إسلامية وكان يقوم هو شخصياً بالتدريس فيها؛ ودَوَّن القرآن الكريم وأسس المكتبات ونشر علوم النحو والصرف والفلك وتدريس اللُغات والأديان الأخرى، وعمم ثقافة النقد البناء للنظام السياسي، وجَعل النقد البناء من مقومات ممارسة السلطة في الدولة الإسلامية، وكان عليه السلام ويأنف من الإطراء والتملق للشخصيات السياسية والاجتماعية ويضع الحق معياراً للرجال، لا الرجال معياراً للحق، هدفاً منه في إقصاء ثقافة تعظيم الشخصيات الكاريزمية في المجتمع الإسلامي، وإتباع السُنن الصالحة لا الطالحة بدلاً عنها.

هوامش البحث

(١) - ينظر، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكه، ج١: ١٥٤-١٥٩؛ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل السامرائي:١١-١٥.

(٢) - ينظر، النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية، عبد الرزاق المصباحي:٣٤.

(٣) - ينظر، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي:٧٢.

(٤) - ينظر، نقد ثقافي أم نقد أدبي، عبد الله الغذامي، وعبد النبي اصطيف:٢٨.

(٥) - ينظر، عبد الله الغذامي ناقدا ثقافيا، ياسين كني:٢٧.

(٦) - ينظر، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي:٧٣.

(٧) - الغزل العذري في العصر الأموي في ضوء النقد الثقافي، إحسان ناصر حسين:٢٠.

(٨) - ينظر، النقد الثقافي مفهومه منهجه إجراءاته، إسماعيل خلباص حمادي:١٤.

(٩) - ينظر، النقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية، عبد الرزاق المصباحي:٣٤.

(١٠) - ينظر، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي:٧٤.

(١١) - ينظر، نقد ثقافي أم نقد أدبي، عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف:١٥٩-١٦٠.

(١٢) - ينظر، نقد ثقافي أم نقد أدبي، عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف:١٦١.

(١٣) - ينظر، النقد الثقافي بين العلم والمنهج قراءة في كتاب عبد الله الغذامي، منذر عياشي:٩٦.

(١٤) - ينظر، نقد ثقافي أم نقد أدبي، عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف:١٦١.

(١٥) - ينظر، موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج٤: ٢٠٣.

(١٦) - ينظر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام مهدي الصدر:٤٧٨.

(١٧) - ينظر، السياسة من واقع الإسلام، صادق الحسيني الشيرازي: ٢٤٥.
(١٨) - سورة المجادلة، الآية: ١١.
(١٩) - عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ٣٢٨.
(٢٠) - سورة البقرة، الآية:٣٠.
(٢١) - سورة الأنبياء، الآية:٧٣.
(٢٢) - سورة آل عمران، الآية:٨٥.
(٢٣) - سورة آل عمران، الآية:١٩.
(٢٤) - سورة النجم، الآية:٣-٤.
(٢٥) - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٩: ٦١.
(٢٦) - المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٤: ١٢٧.
(٢٧) - مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي:٣٤.
(٢٨) - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٩: ٦١.
(٢٩) - نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام:٢٢٠.
(٣٠) - سورة البقرة، الآية:٣٠.
(٣١) - سورة العلق، الآية:٥.
(٣٢) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ج٣: ٥٤٠.
(٣٣) - تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ج١٧: ٤٢.
(٣٤) - سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ج١: ٨١؛ المعجم الأوسط، الطبراني، ج٣: ٥٧.
(٣٥) - سورة النساء، الآية:٧٨.
(٣٦) - سورة البقرة، الآية:٩٤.
(٣٧) - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٦: ١١٧.
(٣٨) - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٦: ١١٤.
(٣٩) - سورة المؤمنون، الآية:١٠٠.
(٤٠) - سورة آل عمران، الآية:١٨٥.
(٤١) - سورة النساء، الآية:٧٨.
(٤٢) - نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام:٧٩.
(٤٣) - سورة التين، الآية:٤.
(٤٤) - سورة البقرة، الآية:٣١.
(٤٥) - سورة الحجرات، الآية:١٣.
(٤٦) - المبسوط، السرخسي، ج٥: ٢٣.

(٤٧) – نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام:٤٢٧.
(٤٨) – سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(٤٩) – كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٣: ١٣٤.
(٥٠) – ينظر، الأحكام السلطانية، علي الماوردي:٢٢.
(٥١) – فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج١: ٧٠.
(٥٢) – البيان والتبيين، الجاحظ:٥٨.
(٥٣) – سورة الاحقاف، الآية:٢٣..
(٥٤) – سورة الأحزاب، الآية:٧٢.
(٥٥) – المعجم الكبير، الطبراني، ج٣: ٦٩.
(٥٦) – نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام:٥٣١.
(٥٧) – ديوان الإمام علي عليه السلام:٤٨.
(٥٨) – سورة الزمر، الآية:٩.
(٥٩) – شرح ديوان المتنبي،ج٤: ٢٥١.
(٦٠) – المعلقات السبعة، الزوزني: ١٦٣.
(٦١) – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٨: ٣٤٦.
(٦٢) – سورة الإنسان، الآية:٨.
(٦٣) – سورة التوبة، الآية:١٨.
(٦٤) – سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٦٥) – سورة البقرة، الآية:٨٣.
(٦٦) – المعجم الأوسط، الطبراني، ج٣: ٣٧٨.
(٦٧) – سورة القصص، الآية:٧٦.
(٦٨) – سورة الكهف، الآية:٤٦.
(٦٩) – ينظر، كنز العمال، المتقي الهندي، ج١١: ١٩٨.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-المصادر

١- الأحكام السلطانية، علي الماوردي (ت، ٤٥٠هـ)، مطبعة البابي الحلبي، ط٢، (مصر، ١٩٦٦م).

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م).

٣- البيان والتبيين، الجاحظ (ت، ٢٥٥هـ)، المكتبة التجارية، ط١، (القاهرة، ١٩٢٦م).

٤- تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (ت، ٦٠٦هـ)، إحياء التراث، ط١، (بيروت، ١٩٩٣م).

٥- التوحيد، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: هاشم الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، د. ت).

٦- ديوان الإمام علي عليه السلام، ترتيب: عبد العزيز كرم، مطبعة الكواكب، ط١، (بغداد، ١٩٨٨م).

٧- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت، ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة، (بيروت، د. ت).

٨- شرح ديوان المتنبي، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٧٩م).

٩- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت، ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة اسماعيليان، (قم، د .ت).

١٠- العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، دار الحديث، ط١، (قم، د.ت).

١١- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت، ق ٦هـ) تحقيق: حسين الحسيني، دار الحديث، ط١، (طهران، د .ت).

١٢- الغارات، أبي إسحاق الثقفي (ت، ٢٨٣ه) تحقيق: جلال الدين الحسيني، مطبعة بهمن، (إيران، د.ت).

١٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (١٠٣١هـ)، تحقيق: احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٤م).

١٤- كنز العمال، المتقي الهندي (ت، ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م).

١٥- المبسوط، السرخسي (ت، ٤٨٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٦م).

١٦- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي (ت، ق.٩.هـ)، المطبعة الحيدرية، ط١، (النجف الأشرف، ١٩٥٠م).

١٧- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، د .ت).

١٨- مستدرك نهج البلاغة، هادي كاشف الغطاء، دار الأندلس، (النجف الأشرف، د.ت).

١٩- مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي، تحقيق: طاهر السلامي، مؤسسة الاعلمي، ط١، (بيروت، ٢٠٠٠م).

٢٠- المعجم الأوسط، الطبراني سليمان بن احمد الطبراني (ت، ٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للدراسة والنشر، (مكة، ١٩٩٥م).

٢١- المعجم الكبير، الطبراني، دار إحياء التراث، ط٢، (بيروت، ١٩٨٢م).

٢٢- المعلقات السبعة، الزوزني، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت، ١٩٩١م).

٢٣- نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام (ت، ٤٠هـ)، تحقيق: صبحي الصالح، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٦٧م).

٢-المراجع

١- أخلاق أهل البيت عليهم السلام مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي، (بيروت، د .ت).

٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكه، دار القلم، ط١، (بيروت، ١٩٩٦م).

٣- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل السامرائي، دار الفكر، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٧م).

٤- السياسة من واقع الإسلام، صادق الحسيني الشيرازي، مطبعة اسماعيليان، (قم، د.ت).

٥- عبد الله الغذامي ناقدا ثقافيا، ياسين كني، دون دار نشر، العدد الأول، (٢٠١٣م).

٦- الغزل العذري في العصر الأموي في ضوء النقد الثقافي، إحسان ناصر حسين، مطبعة صباح، (بغداد، ٢٠٠٧م).

٧- نقد ثقافي أم نقد أدبي، عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، دار الفكر، (دمشق، ٢٠٠٤م).

٨- النقد الثقافي بين العلم والمنهج قراءة في كتاب عبد الله الغذامي، منذر عياشي، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣م).

٩- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط٣، (الدار البيضاء، ٢٠٠٥م).

١٠- النقد الثقافي مفهومه منهجه إجراءاته، إسماعيل خلباص حمادي، مجلة كلية التربية واسط العدد ١٣، (واسط،٢٠١٣م).

١١- لنقد الثقافي من النسق الثقافي إلى الرؤيا الثقافية، عبد الرزاق المصباحي، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط١، (بيروت، ٢٠١٥م).

١٢- موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، (إيران، ١٤٢٥هـ).